أبو سفيان في القرآن الكريم

قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧) [البقرة/٦، ٧])

هذه تناول أبا سفيان بالأولوية، وإذا استثنى الله أحداً فقد يستثني رعاة الظواهر وصبيان البطاح والمستضعفين .. أما الزعماء المحاربين فإن لم يتناولهم الخطاب فمن يتناول؟ وكيف نستطيع رد الخبر القرآني إلا أن نكفر؟ ومن لم يتأمل في الآيتين أو لم يقتنع بهما فنبشره أنه قد جاء في الآثار ما يدل على هذا، رغم محاولتهم إخراج أبي سفيان بلا سبب موجب، ففي تفسير الطبري – (ج ١ / ص ٢٥٢) حُدِّثت به عن عمار بن الحسن، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، قال: آيتان في قادةِ الأحزاب :(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)، قال: وهم الذين ذكرهم الله في هذه الآية:(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ) [سورة إبراهيم: ٢٨، ٢٩]، قال: فهم الذين قُتلوا يوم بدر اهـ قلت: السياسة هي من حدد هؤلاء بالمقتولين! مع أن أكثر المقتولين يوم بدر ليسوا في قرب أبي سفيان من النبي (ص) ولا في عداوته، ولا في بلوغه بالحجة ولا في فهمه لها وعناده وكبره وصده عن سبيل الله ..الخ، والآية إن لم تكن في الزعماء المتبوعين فلن تكون في الرعاء التابعين، عدل الله يأبى هذا، ومنهج القرآن يأباه، فالقرآن يتناول الزعماء بالدرجة الأولى لأن لهم تأثيرهم على الأتباع، وكان أبو سفيان من هؤلاء الزعماء بلا شك، بل هو زعيم الحروب ضد النبي (ص) وهو الوحيد الذي حزب الأحزاب، فلم يكن يوم بدر أحزاب، وإنما كانت قريش

فقط، ومن هنا يتبين لنا المسلك السياسي (الأموي خاصة) في تخصيص القرآن بما يميت آياته ويحصرها في ما لا فائدة فيه على المستوى الفكري عند المسلمين، إذ لو كانت ثقافة القرآن مستقرة في عقول المسلمين بأن أبا سفيان منهم، فلابد أن يثير هذا الاعتقاد بعض التساؤلات عن أثر أبي سفيان على السياسة العامة للمسلمين، وأثر ابنه معاوية في صرف دلالات القرآن إلى عدو ميت! ليطمئنوا بأن العدو مات! وأن كلام الله ليس على إطلاقه! أو أنه غير صحيح! فالله لم يختم على قلوب رؤوس الكفر من قريش، وأن التاريخ أثبت أن ما يخبر به الله ليس بالضرورة أن يكون صحيحاً ولا مطابقاً، وعلى هذا فالقرآن توقعات محمد فقط! (هذا ما يريد معاوية وأمثاله أن يثبتوه، والسلفية (حليفة معاوية) تتدين برأي معاوية، وتستبعد صحة مثل هذه الآيات ولو احتمالاً.. تصوروا ! حتى مجرد الاحتمال أن أبا سفيان من هؤلاء مستبعد في الفكر السلفي، ليس لأن الله لم يقل ويكرر، ولكن لأن معاوية لم يرد ذلك، وخفاء الدور السياسي على الحمقى، فلا مكر كمكر السلطان، ولا جند كجند الحمقى، فإذا اجتمعا لم يردهما شيء،)!/ وفي تفسير الطبري – (ج ١ / ص ٢٦٧) حدثني المثنى بن إبراهيم، قال: حدثنا إسحاق بن الحجاج، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، قال: هاتان الآيتان إلى(وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) هم(الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) [سورة إبراهيم: ٢٨]، وهمُ الذين قُتلوا يوم بدر، فلم يدخل من القادة أحدٌ في الإسلام إلا رجلان: أبو سفيان بن حَرْب، والحَكَم بن أبي العاص اهـ / وفي الدر المنثور – (ج ١ / ص ٢٩) أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي العالية .. فذكره اهـ / وفي تفسير الطبري – (ج ١ / ص ٢٦٧) وحدثت عن عمار بن الحسن، قال: حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، عن الحسن، قال: أما القادةُ فليس فيهم مُجيبٌ ولا ناجٍ ولا مُهْتَدٍ اهـ /

قلت: إذا كان أبو سفيان من القادة ومن المعنيين بالآية الكريمة، فأعيدوا قراءة الآيتين وانظروا هل من سبيل إلى أن يهتدي؟ أم أن إسلامه سيكون في الظاهر فقط؟

وعلى كل حال: فهذه الآيات صريحة جداً، وهي تتفق مع سورة الكافرون وسورة يس وغيرها من الآيات التي تتحدث عن قريش، وعن زعمائها على وجه الخصوص، والله لا يخشى من الزعماء فيكون خطاب الوعيد يتناولهم بالأولوية، وإنما السلفية فيما بعد حيدت الزعماء من الوعيد وجعلته – أي الوعيد– مبهماً في الهواء لا حقيقة له، وإلا أين حقيقة هاتين الآيتين؟ سيوردونها في الميتين كأبي جهل ؟ نقول: فمن أستثنى أباسفيان ساعة نزول الآيات؟ أأنتم؟ (هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا؟) أم على الله وكتابه ودينه تفترون ؟

ثم يظن السلفيون (الواقعون في المكر الأموي) أن تأخر موت أبي سفيان كان خيراً له، وأن تقدم موت أبي طالب كان شراً له! – لأنهم يروون أنه مات كافراً– بينما الله عز وجل لا يقول هذا وخاصة في مثل أبي سفيان انظروا إلى قوله تعالى : (وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٧٦) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٧) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٧٨) [آل عمران/١٧٦–١٧٨])

فهذه الآيات تقول بخلاف ظن السلفية تماماً.. فهم يحسبون أن إملاء الله لهؤلاء خير لهم!

وكذلك قوله تعالى: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢) [آل عمران/١٢]) هنا وعيدان من الله تحقق أحدهما في الدنيا، والسلفية لا يرون الثاني إلا توقعاً خاطئاً! فمن المخاطبون ساعة نزول الآية؟ أليس قريشاً؟ أليس هذا يتناول زعماء الحرب على الأقل ممن أعرقوا في المحاربة والتحزيب والتصدر والمبالغة في معاداة النبي (ص)؟ هذه الآية وأمثالها عند السلفية راحت هباء منثوراً بإظهار أبي سفيان الإسلام خوفاً من السيف! مع ثبوت بقائه على الكفر في أكثر من مناسبة، كان آخرها في أول خلافة عثمان سنة ٢٥هـ ولم يلبث بعدها إلا سبع سنوات شيخاً عاجزاً ليس له ذكر، لو شرب الماء لا يجد برده!

وانظر قوله تعالى: (لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧) [آل عمران/١٩٦، ١٩٧]) فهذه من آيات آل عمران وسيوف قريش طرية من دماء حمزة ومصعب وأمثالهما، والله أصدق القائلين لا يكذب أبداً، وإذا قال شيئاً لا يخلفه، والسلفية يرون أن الله لا يخلف وعيده إذا كان في حق أبي لهب عم النبي (ص) لكنهم يرونه مخلفاً وعيده في من هو شر من أبي لهب وأكثر عداوة وأطول محاربة، بل أبو لهب لم يقتل مسلماً قط، ولم يحزب أحزاباً ولم يحاصر المسلمين في الخندق ولا في الشعب، وإنما كان ذم الله له لإطاعته أبي سفيان وأخته أم جميل، فكيف يصدق وعيد الله في الفرع ولا يصدق في الأصل؟!

وانظر إلى قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا (١٦٧) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٦٩) [النساء]) وهذا صريح أن زعماء الكفر – على الأقل– لن يهديهم الله إلا طريق جهنم، وهي إما الكفر أو النفاق (إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠) [النساء])

وانظر إلى قوله : (وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٤) وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٣٧) [الأنفال/٣٤-٣٧])

فهذه الآيات صريحة، بل بعضهم صرح بأنها في أبي سفيان..

وكان الله قد أتاح لهم فرصة أخيرة بعد بدر بقوله تعالى : (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ [الأنفال/٣٨]) ولا بد أن يكون النبي (ص) قد أبلغ هذه الرسالة لهم ما بين بدر وأحد، ولذلك لما لم يستجيبوا أعاد الله لهم الجملة يوم أحد ولكن بلا فتح باب التوبة فقال: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢) [آل عمران/١٢، ١٣]) فقد انتهت مهلة الوعد بالتوبة، ولم يرد في القرآن الكريم (قل للذين كفروا..) إلا في هذين الموضعين أولاهما في الأنفال (بعد بدر) والثانية في آل عمران (بعد أحد).. وكان الكفار المعادين للنبي (ص) في تلك المدة هم كفار قريش فقطن وهذه ظاهرة لمن تدبر القرآن، ولكنها خافية على الهالكين في المكر الأموي.

انظر إلى قوله تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣) [العنكبوت/٢٣])

ومن سنة الله أن طول التكذيب تكون عقوبته الصرف عن الهداية (تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (١٠١) [الأعراف/١٠١]) أي ما كذبوا به من قبل رغم تيقنهم صدقه كيف يؤمنون به فيما بعد؟.

ولا ننسى الحكم التأبيدي : (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦))

ولا ننسى الخاتمة – في آخر الآيات نزولاً- (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨) [المائدة/٦٧، ٦٨] فكان الكفر موجود إلى آخر النبوة في أناس يدعون الإسلام داخل الجزيرة، وإن لم يكن منهم أبوسفيان وحزبه فمن؟..

وفي قوله تعالى : (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآَخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٠٨) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآَخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٠٩) [النحل/١٠٦-١٠٩])

وقوله عنهم في سورة الأحزاب عن قريش وحلفائهم وأشياعهم: (إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آَتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨) [الأحزاب/٦٤-٦٨])

ومعظم سورة التوبة في أبي سفيان وحزبه من كفار العرب واليهود والمنافقين الجدد..

وأخيراً:

فهذه نماذج من الآيات التي لا يؤمن بها أتباع بني أمية ... من النواصب ومن لف لفهم.

اقرؤوها ... وتذكروا عقائدهم... ثم انظروا هل بينهما اتفاق؟؟

ثم أنتم أحرار ..